ذكرى مولد الرسول ﷺ

● **الخطبة الأولى** :

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

كلما أهلّ علينا شهر ربيع الأول ، تذكر الناس مولد أعظم شخصية فى الوجود، وهى شخصية محمد ﷺ [1] ، الذى اصطفاه الله تعالى من خلقه ، وصنعه على عينه ، وأرسله رحمة للعالمين .

وللناس فى هذا الشهر أحوال فى الاحتفاء أو الاحتفال بمولد محمد ﷺ ، واحتفاؤنا واحتفالنا واهتمامنا بمولده ﷺ ، ليس كما يصنع الجهال والغافلون من الناس .

ليس بأن نقيم الزينات ، أو نرفع الرايات ، أو نوزع الحلوى ، إنما احتفالنا به أن نتذكر هذا الرسول العظيم ، أن نعيش فى ذكراه ، أى أن نعيش فى ذكرى سيرته، أو ذكرى رسالته ﷺ .

إن هذا الرسول العظيم قد ترك لنا سيرة طاهرة عاطرة ، وترك لنا رسالة عامة خالدة ، صالحة مصلحة لكل زمان ومكان ، والاحتفاء والاحتفال به ، أن نتذكر هذه السيرة وتلك الرسالة ، رسالة محمد ﷺ وسيرته ، هى موضع أحاديثنا فى هذه المدة من الزمن .

إن السيرة النبوية هى من أنصع الأدلة ، على أن محمدًا ﷺ مرسل من ربه ، لا يمثل نفسه وإنما يمثل الإرادة العليا ، إرادة الله عز وجل : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [2] .

---

(١) المشهور أن ولادته ﷺ كانت يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول (٥٣ ق .هـ) (٥٧٠م) عام هجوم الأحباش على مكة ، ويقول الشيخ محمد الغزالى حفظه الله : وتحديد يوم الميلاد لا يرتبط به من الناحية الإسلامية شىء ذو بال ، فالأحفال التى تقام لهذه المناسبة تقليد دنيوى لا صلة له بالشريعة (فقه السيرة للغزالى) ص (٥٨) ط . دار القلم .

(٢) النجم : ٣ - ٥ .

OBEIKAN.COM

من قرأ هذه السيرة ، عرف بصدق ويقين ، أن صاحبها لا يمكن أن يكون دعيًا ، لا يمكن أن يكون دجالاً ، كما لا يمكن أن يكون ملكًا ، أو طالب ملك ، لا يمكن أن يكون رجل دنيا .

صاحب هذه السيرة صادق كل الصدق ، يتمثل الصدق فى هذه السيرة فى كل جنباتها ، ومن هنا كان علينا أن نقف وقفات فى جوانب العظمة والخلود ، والطهارة والإشراق فى هذه السيرة النبوية المحمدية .

ومن حسن حظنا نحن المسلمين ، أن هذه السيرة محفوظة ... مروية ... مسجلة ... مخلدة .

سير الأنبياء معظمها ضاعت ، وما بقى منها لا يكوّن حلقات متصلة ، وليس له إسناد يصلنا بهم ، ولكن سيرة محمد ﷺ بقيت محفوظة .

محفوظة فى كتاب الله عز وجل ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، محفوظة فى أحاديث رسول الله ﷺ ، وفى سننه التى رواها الثقات فى كتب الحديث الجامعة فى الصحيحين ، فى الكتب الستة ، فى الجوامع والمصنفات والمسانيد ، محفوظة فى كتب السيرة التى عنيت بهذا الأمر خاصة ، ككتب ابن اسحاق [١] ، وابن هشام ، وابن كثير [٢] ، وغيرهم ، محفوظة فى كتب الشمائل[٣] ، التى عنيت بأخلاقه ، وشمائله ، وهديه ﷺ محفوظة فى كتب الدلائل [٤] ... ودلائل النبوة والآيات والمعجزات الحسية والمعنوية المتكاثرة الوفيرة،

---

(١) توفى سنة (١٥١ هـ) ، وبعد كتابه : (السيرة النبوية) أقدم كتاب فى السيرة ، وقد هذبه من بعده ابن هشام (ت ٢١٣ هـ) ، وهو الذى انتهت إليه هذه السيرة ، وغلب اسمه عليها، فعرفت به ، وشاع ذكره بها .

(٢) وهى مأخوذة من كتابه الكبير فى التاريخ (البداية والنهاية) وقد نشرت مستقلة بتحقيق د / مصطفى عبد الواحد .

(٣) ومن أجمعها كتاب (شمائل الرسول) لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) وقد حققه د / مصطفى عبد الواحد .

(٤) ككتاب (دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة) لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) .

OBEIKAN.COM

التى أظهرها الله على يديه ﷺ ، محفوظة فى كتب التاريخ العام ، التى خصصت جزءًا كبيرًا لحياته ﷺ، كل هذا موجود عندنا نحن المسلمين .

والسيرة محفوظة من ألفها إلى يائها ، من المولد إلى الوفاة ، هذا مذكور فى كتب وفى سجلات السيرة عندنا .

فى السيرة : كيف ولد ؟ ومتى ولد ؟ ومن أرضعه ؟ ومن احتضنه ؟ وكيف نشأ ؟ وماذا عمل فى صباه ؟ وماذا عمل فى شبابه ؟ وماذا صنع فى كهولته قبل البعثة وبعد البعثة ، قبل الهجرة وبعد الهجرة ، كل هذا تحكيه لنا سيرة محمد ﷺ .

حلقات متصلة مروية بأسانيدها الصحاح ، لا يوجد هذا لأى نبى من الأنبياء ، ولا لأى عظيم من العظماء ، لأن الأنبياء الذين بعثهم الله ، بعثهم لمراحل موقوتة ، لزمن محدود معلوم ، ولأقاليم معينة ، وأقوام مخصوصين .

أما محمد ﷺ فكانت رسالته عامة ، خالدة خاتمة ، « امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن ، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة » (١) .

لهذا تكفل الله بحفظ سيرته وسنته ﷺ فى مجموعهما ، باعتبارهما البيان النظرى ، والشرح العملى للكتاب الكريم ، وحفظ المبين يقتضى حفظ البيان ، كما قال الإمام الشاطبى - رضى الله عنه - (٢) .

الله تكفل بحفظ كتابه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣) ، والسنة والسيرة هما الشرح النظرى ، والتطبيق العملى لكتاب الله ، لهذا حفظهما الله تبارك وتعالى .

---

(١) هذا الوصف للرسالة من مقال للإمام حسن البنا ، ذكره الأستاذ القرضاوى فى كتابه (الخصائص العامة للإسلام) : خصيصة الشمول .

(٢) راجع : الدليل الثانى (السنة) فى الجزء الرابع من كتاب (الموافقات فى أصول الشريعة) لأبى إسحاق الشاطبى (ت ٧٩٠ هـ) ،وهو كتاب لا ند له فى بابه .

(٣) الحجر : ٩ .

OBEIKAN.COM

عندنا نحن المسلمين سيرة رسولنا ﷺ ، تحكى لنا كل أحواله : أقواله ، وأعماله، وتقريراته ، وأوصافه الخلقية ، وصفاته الخلقية ، وسيرته كلها .

ليس هناك دائرة حمراء فى هذه السيرة ، يقال هذه لا تروى ، أو هذا شىء خاص لا يذكر للناس ، لا ، حياته كلها ﷺ ملك للناس ، أكله إذا أكل ، شربه إذا شرب ، لبسه إذا لبس ، ركوبه الدابة إذا ركب ، نومه إذا نام ، استيقاظه إذا استيقظ، خروجه من بيته ، كل هذا ،حتى صلته بأهله ، حتى الصلة الجنسية تروى للناس ، لأن فيها تشريعًا ، ولأن فيها اقتداء .

روت لنا السيرة كل حياته ﷺ فى علاقته بربه ، فى علاقته بنفسه ، فى علاقته بزوجاته ، فى علاقته بأولاده ، فى علاقته بأحفاده ، فى علاقته بالناس ، فى علاقته بالأعداء ، فى سلمه إذا سالم ، فى حربه إذا حارب ، فى صلحه إذا صالح ، كل هذا مروى فى سيرة رسول الله ﷺ حتى حياته الخاصة ، ترويها تسع نسوة [1] ، لو نسيت واحدة ذكرتها الأخرى ، ليكون كل شىء أمامنا واضحًا جليًا ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [2].

ما أحوجنا نحن المسلمين إلى أن نتدبر سيرة رسولنا ﷺ ، أن نعيش مع هذه

---

(١) وهن اللاتى توفى عنهن ﷺ : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر ، وأم حبيبة رملة بنت أبى سفيان ، وهند أم سلمة بنت أبى أمية ، وسودة بنت زمعة ، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث ، وجويرية بنت الحارث ، وصفية بنت حيى بن أخطب ، وأما أزواجه ﷺ اللاتى تزوجهن ، ودخل بهن فهن إحدى عشرة امرأة ، يضاف إلى التسع الآنفات: خديجة بنت خويلد ، وهى أم المؤمنين الأولى أو الكبرى ، وهى أم بناته ﷺ ، وزينب بنت خزيمة ، وهاتان توفيتا قبله عليه الصلاة والسلام ، أما عن سبب تعدد أزواج النبى ﷺ ، فأحيل القارىء الكريم إلى ما كتبه الأستاذ القرضاوى فى (فتاوى معاصرة : ١/٥٤٦ - ٥٥٠) ، وللدكتور عبد الله ناصح علوان رحمه الله رسالة نافعة بعنوان (تعدد الزوجات فى الإسلام والحكمة من تعدد أزواج النبى ﷺ)، كما كتب الشيخ محمد على الصابونى رسالة بعنوان (شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ) .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

OBEIKAN.COM

السيرة ، أن نستجلى جوانب العظمة المحمدية ، العظمة التى أشار إليها رب العزة فى كتابه .

أشار إلى جانب من جوانبها ، وهو الجانب الخلقى حينما قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) ، الله زكى نبيه هذه التزكية ، وليس بعدها تزكية .

ما أحوجنا إلى أن ندرس هذه السيرة دراسة المتأمل البصير ، لنعرف كيف نقتدى برسول الله ﷺ ، وكيف نأخذ الأسوة ، ونقتبس النور من هذه السيرة الجامعة لحياتنا ... لأنفسنا ... لبيوتنا ... وأسرنا ... لأبنائنا وبناتنا ... لمجتمعاتنا ... لحكامنا ومحكومينا ... نأخذ من هذه السيرة هديًا ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ .

إننا كثيرًا ما نقف عند الأشياء التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، طالما كنت أسمع وأنا صغير قصة المولد ، يقرأونها فى القرى والأرياف ، ومعظم هذه القصة تدور على أشياء وخوارق ليس فيها هذا الأمر الذى نريده : جانب القدوة ، جانب التأسى ، جانب العظمة فى سيرة محمد ﷺ ، وفى رسالته .

طالما رأينا المؤذنين يؤذنون على المآذن والمنائر ، يقولون : الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله (٢) !! وما ثبت أنه أول خلق الله ، الصلاة والسلام عليك يا مليح الوجه يا رسول الله !! أفى ملاحة الوجه هذه مجال للقدوة ؟!

المسلمون - أو أقل : الكثيرون منهم - أخطأوا فهم شخصية رسول الله ﷺ ، هذه الشخصية التى أنزل عليها الرسالة الخالدة العامة ، اختاره الله سبحانه وتعالى ليختم النبوات والرسالات ، ويعلن أنه خاتم النبيين ، وأنه لا نبى بعده .

هذه الشخصية فى حاجة إلى أن ندرسها ، إلى أن نعرفها ، وما أكثر الجوانب التى يمكن أن نقف عندها لنعرف عظمة الشخصية المحمدية .

---

(١) القلم : ٤ .

(٢) وهو كلام لم يصح به نقل ، ولا يقره عقل ، هذا ما أثبته الأستاذ القرضاوى فى فتوى له نشرت ضمن (فتاوى معاصرة) الجزء الأول ص (١٧٨ ، ١٧٩) .

OBEIKAN.COM

خذوا الجانب الربانى من سيرته وحياته ﷺ ، جانب التعبد لله تبارك وتعالى ، إن من يقرأ فى هذا الجانب ، جانب العبادة ... الصلاة ... الصيام ... الذكر ... التسبيح ... التهليل ... التكبير ... الدعاء ... الاستغفار ، يجد قلبًا نابضًا بحب الله تبارك وتعالى ، يجد لسانًا رطبًا بذكر الله تعالى ، لا ينساه على كل حال ، يذكر الله فى كل أحواله ، وعلى كل أحيانه .

أنظروا إلى الرسول العابد الذى أمره الله تعالى بقوله : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (١) ، فكان يعبده فى ليله ونهاره ، وصباحه ومسائه ، فى خلوته وجلوته ، لا يفتر عن عبادة ربه .

كان يعلم أن الإنسان ما خلق إلا لعبادة الله ، وأن عبادة الله هى المهمة الأولى لهذا المخلوق ، الذى خلقه الله بيده ، وسواه ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وجعله خليفة فى الأرض .

كان يعلم أن مهمته أن يعبد الله عبادة مبنية على معرفة به ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٢) . لهذا كان ﷺ أكثر الناس إقبالاً على الله .

شرع الله الصلوات الخمس ، لتربط المسلم بربه كل يوم خمس مرات ، لا يوجد دين يربط الإنسان بمولاه هذا الربط الوثيق ، ليكون دائمًا على موعد مع ربه ، كلما شغلته الشواغل ، كلما غرق فى لجة الحياة ، كلما أنسته مطالب الدنيا ، كلما غرق مع التجارات ، مع الدينار والدرهم ، لكنه حين يسمع المنادى ينادى : الله أكبر الله أكبر ... حى على الصلاة ... حى على الفلاح ، يترك البيع والشراء ، ويترك دنياه ودنيا الناس ، ويهرع إلى بيت الله ، هكذا علّم محمد ﷺ الناس .

علمهم أن الحياة إنما تكون لله وبالله ، وأن الإنسان يجب أن يتحرر لمولاه ، هكذا علمه ربه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣) .

---

(١) الحجر : ٩٩ . (٢) الذاريات : ٥٦ - ٥٨ . (٣) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ .

OBEIKAN.COM

ولهذا كان ﷺ المسلم الأول فى كل أمر ، المسلم الأول فى عبادته إذا تعبد ، فى ذكره إذا ذكر ، فى دعائه إذا دعا ، فى خلقه إذا تخلق ، فى جهاده إذا جاهد .

كان المسلم الأول فى عبادته لله ، ولم تكن عبادته مجرد تسديد خانة ، أو امتثالاً لأمر ، بل كانت عبادته عبادة الحب والشوق إلى الله سبحانه وتعالى .

كان إذا قرب وقت الصلاة يتشوق إليها ويحن لها ، ينتظر وقتها بفارغ الصبر ، حتى إذا حان الوقت قال لمؤذنه : « قم يا بلال فأرحنا بالصلاة » (١) ، وما أعظم الفرق بين من يقول : أرحنا بها ، ومن يقول أرحنا منها .

إنها صلاة الحب ، لا مجرد صلاة الأمر ، إنه كان يجد فيها نفسه ، يجد فيها غذاء قلبه ، وانشراح صدره ، وحياة روحه ، وقرة عينه ، وقد قال ﷺ : « . . . وجعلت قرة عينى فى الصلاة » (٢) .

كان يصلى الصلوات الخمس فى ميقاتها . . . فى جماعتها ، بخشوعها ، وركوعها ، وسجودها ، وإسباغ وضوئها ، وما كان يكتفى بها ، بل كان له صلوات .

كان يصلى من الليل ، ما كانت متاعبه لتشغله عن وقوفه بين يدى ربه ، إذا جن الليل ، وأرخى ستوره ، وغارت النجوم ، وهدأت العيون ، وأوى كل ذى فراش إلى فراشه ، كان يقوم من الليل ، ويصف قدميه مصليًا لله عز وجل ، ويناجيه فيقول : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيّام السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولك الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك الحق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ،

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الأدب من سننه ، أنظر الحديثين (٤٩٨٥ ، ٤٩٨٦) وأحمد فى مسنده (٥/ ٣٦٤ ، ٣٧١) .

(٢) جزء من حديث : « حبب إلى من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » رواه النسائى فى عشرة النساء (٧/ ٦١) ، وأحمد فى المسند (٣/ ١٢٨ ، ١٩٩ ، ٢٨٥)، وإسناده حسن ، ورواه الحاكم من طريق آخر وصححه ، ووافقه الذهبى (٢/ ١٦٠) .

OBEIKAN.COM

وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وأخرت ، وما أسررت وأعلنت ،أنت إلهى لا إله إلا أنت » (١) .

هذا هو النبى العظيم ، ما شغلته متاعب الحياة ، ومتاعب الدعوة ، وما شغلته حياته الخاصة ، تسع نسوة لهن مطالب ، ولهن حاجات ، ولهن تطلعات ، ومسلمون لهم حاجات ، ولهم مطالب ، وعليه توجيههم وهدايتهم ، وجبهات تقف له بالمرصاد ، تريد أن تقتلع جذوره ، وأن تهدم دعوته من أساسها : الجبهة الوثنية ، والجبهة اليهودية ، والجبهة النصرانية البيزنطية ، والجبهة المجوسية المتربصة ، والطابور الخامس من المنافقين الذين يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر ﴿ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢) .

متاعب الحياة ، ومتاعب الدعوة وهمومها ، ما كانت لتشغله أن يقف بالليل مع ربه .

يقف ويطيل الوقوف حتى تتورم قدماه . . . حتى تتفطر وتتشقق من طول القيام، حكى عنه حذيفة رضى الله عنه قال : صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت : يصلى بها فى ركعة ، فمضى ، فقلت : يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران ، فقرأها ، يقرأ مترسلاً ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربى العظيم ، فكان ركوعه نحوًا من قيامه ،ثم قال: سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد ، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع ، ثم سجد فقال : سبحان ربى الأعلى ، فكان سجوده قريبًا من قيامه » (٣) .

إنها صلاة يشعر فيها بحلاوة العبادة ، يجد حلاوتها فى قلبه ، فلا يمل ولا يضجر ولا يسأم ، وأصحابه الذين كانوا أصغر منه سنًا ، وأقوى منه شبابًا ، ما كانوا

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما (شرح السنة للبغوى ، بتحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط ٤/٦٨) .

(٢) البقرة : ٩ .

(٣) رواه مسلم (رياض الصالحين للنووى : باب فضل قيام الليل) .

OBEIKAN.COM

يصبرون على هذه الصلاة الطويلة ، حتى قال ابن مسعود ، وهو من الصحابة : صليت مع النبى ﷺ ليلة ، فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء ، قيل : ما هممت؟ قال : هممت أن أجلس وأدعه [١] ، لم يصبر على طول القيام .

« كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه - من طول القيام - فقالت له زوجته عائشة - مشفقة عليه - : لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبدًا شكورًا » [٢] ؟ أى أن هذه المغفرة تجعلنى أزداد فى الإقبال على الله شكرًا لنعمته ، ووفاء بحقه ، وقيامًا بحبه ، هكذا كان ﷺ .

كان متعبدًا لله عز وجل عبادة الخشية ، وعبادة المحبة ، كان يصلى ويطيل السجود ، ويطيل الركوع ، ويطيل القيام ، وله فى سجوده وركوعه وما بين التكبيرات ، أدعية وأذكار تملأ القلب بالخشية والخشوع ، وتهز كيان النفس هزًا ، ما أحوجنا أن نقرأها ونحفظها وندعو له .

كان إذا ركع يقول : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » [٣] ويقول : « اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، خشع لك سمعى وبصرى ، ومخى وعظمى وعصبى » [٤] .

وإذا قام من ركوعه يقول : « اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السموات والأرض ، وملء ما شئت من شىء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[٥] .

وكان إذا سجد قال : « اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ،

---

(١) ، (٢) متفق عليه (رياض الصالحين للنووى : باب فضل قيام الليل) .

(٣) رواه مسلم عن عائشة رضى الله عنها ، وأبو داود ،والنسائى (الأذكار للنووى بتحقيق محيى الدين مستو ، الحديث ١٠٨) .

(٤) رواه مسلم عن على رضى الله عنه (الأذكار للنووى ، الحديث ١٠٧) .

(٥) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، وأبو داود ، والنسائى (الأذكار للنووى ، الحديث ١١٥) .

سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين»[١] .

وفيما بين السجدتين يقول : « رب اغفر لى وارحمنى ، واجبرنى وارفعنى ، وارزقنى واهدنى »[٢] .

هكذا كانت صلاته ﷺ ، صلاة الخشية . . . صلاة الحب .

أما صيامه ، فكان يصوم رمضان ، هذا الشهر الكريم ، الذى كان يعتبره موسمًا لطاعة الله والإقبال عليه ، فإذا جاء رمضان كان مع جبريل يدارسه القرآن ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

« وكان إذا دخل العشر - الأواخر - شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله»[٣] واعتكف فى المسجد . . . اعتزل عزلة مؤقتة عن شواغل الحياة لعبادة الله عز وجل[٤] .

كان قبل رمضان يقوم بعض الليل وينام بعضه ، ولكن فى هذه العشر الأواخر يحيى الليل كله لعبادة الله ، ويوقظ أهله . . . نساءه ، ليشاركنه هذا المغنم . . . هذا الخير ، ما كان يحب أن يكون وحده فى طاعة الله ، روت عنه أم سلمة : أنه استيقظ ليلة ، فقال : « سبحان الله ! ما أنزل الليلة من الفتن ؟ ماذا أنزل من الخزائن ؟ من يوقظ صواحب الحجرات ؟ - يعنى نساءه - يا رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة »[٥] .

---

(١) رواه مسلم عن على رضى الله عنه ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى (الأذكار للنووى، الحديث ١٢٠) .

(٢) رواه البيهقى فى سننه عن ابن عباس فى حديث مبيته عند خالته ميمونة رضى الله عنها، ورواه أبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، والحاكم (الأذكار للنووى ، الحديث ١٢٩) .

(٣) رواه الستة إلا الترمذى عن عائشة (فقه الصيام للقرضاوى ص ١١٠) وقوله : « شد مئزره » كناية عن النشاط التام فى طاعة الله .

(٤) الإسلام لم يشرع الرهبانية ، ولا التعبد بالعزلة الدائمة ، ولكنه شرع الاعتكاف لفترات مؤقتة ، لترتوى القلوب الظامئة إلى المزيد من التعبد والتجرد لله رب العالمين (فقه الصيام ص١١١) بتصرف قليل .

(٥) رواه البخارى عن أم سلمة فى كتاب التهجد من صحيحه (البخارى مع الفتح ١١٢٦) ط . دار الفكر المصورة عن السلفية .

OBEIKAN.COM

هكذا كان ﷺ يصوم ويقوم ، ولم يكن يكتف بصيام رمضان ، كما لم يكن يكتف بالصلوات الخمس .

كان يصوم الأيام البيض من كل شهر : الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر [١] ، وكان يصوم الاثنين والخميس ، ولما سئل فى ذلك قال : « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم » [٢] .

كان يصوم حتى يقال لا يفطر ، ويفطر حتى يقال لا يصوم ، وكان أحيانًا يصوم ويواصل الصيام [٣] ، وينهى أصحابه عن الوصال رفقًا بهم ، فيقولون له : إنك تواصل يا رسول الله ، فيقول : « وأيكم مثلى ؟ إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى»[٤] .

لا تظنوا أنه يطعمه اللحم والأرز ، أو الفاكهة ، أو يسقيه الماء ، لا ، إنه غذاء آخر ، وشراب من نوع آخر .

إنه غذاء القلب ، وشراب الروح ، إنه مشغول بمعرفة ربه وحبه وخشيته ، لذلك شغله هذا عن الشراب والطعام والدنيا ، كما قال القائل :

لها أحاديث من ذكراك تشغلهـــا ... عن الشراب وتلهيها عن الـــزاد

لها بوجهك نور يستضـــاء لـــه ... ومن حديثك فى أعقابها حـــادى

إذا شكت من كلال السير أو عدها ... روح القدوم فتحيا عنـد ميعـــاد

من فى الناس يصل إلى هذه المرحلة ؟!

---

(١) عن جرير رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر ، وأيام البيض : صبيحة ثلاثة عشر ، وأربعة عشر ، وخمسة عشر » رواه النسائى بإسناد جيد ، والبيهقى ، قال الشراح : أى وأفضلها أيام البيض صبيحة الثلاث المذكورة ، وسميت بيضًا لطلوع القمر فيها طوال الليل ، وتفضيل هذه الأيام لحكمة يعلمها الله ، وقيل : يناسب نور القمر مع نور العبادة ، ومثل هذا يعد من ملح العلم لا من صلبه وجواهره (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣٢٠ ، الحديث ٥٤٠) .

(٢) رواه الترمذى من حديث أبى هريرة ، وقال : حديث حسن غريب ، وروى النسائى نحوه فى حديث عن أسامة بن زيد (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ١/ ٣٢٠ - ٣٢١، الحديث ٥٤١) .

(٣) أى يأتى الغروب فلا يفطر ، ويستمر صائمًا ليوم أو يومين .

(٤) متفق عليه من حديث أبى هريرة (سبل السلام للصنعانى : ٢/ ٣٠٧) .

OBEIKAN.COM

إن فى الحديث عن عبادته ﷺ . . . عن هذا الجانب الربانى من سيرته يطول ، ولعل لنا عودة إليه لنجلى هذا الجانب - جانب الذكر والشكر وحسن العبادة - فى حياة النبى العظيم ﷺ ، فإنه من أنصع الأدلة على أنه رسول الله .

إن الدجالين لايمكن أن يحملوا بين جنوبهم مثل هذا القلب الشاكر ، ولا يمكن أن يكون لهم مثل هذا اللسان الذاكر ، ولا يمكن أن يكون لهم مثل هذا البدن الصابر على طاعة الله وعبادته .

إن هذا القلب . . . قلب النبى المحب لربه ، الخائف من عذابه ، الراجى لرحمته، المقبل عليه بكل همته ، إنه دليل من أسطع الأدلة على أنه رسول الله ، على أنه يتكلم عن الله ، لا يتكلم عن هواه ، ولا يصدر من عند نفسه ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَا وَحْىٌ يُوحَى ﴾ (١) .

صلى الله عليك وسلم يا رسول الله ، وجعلنا الله من المهتدين بهديك ، المقتدين بسنتك : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا ﴾ (٢) .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

ورد أنه فى يوم الجمعة ساعة إجابة ، لا يدعو بها عبد مسلم بخير إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة .

---

(١) النجم : ١ - ٤ .

(٢) الأحزاب : ٢١ .

OBEIKAN.COM

اللهم أصلح لنا ديننا الذى هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التى فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التى إليها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ، واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم أكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا ﴿ ... رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

عباد الله : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

اللهم صل وسلم وبارك على نبيك ، وعلى آله وصحبه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وأقم الصلاة .

* * *

(١) البقرة : ٢٨٦ .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

OBEIKAN.COM

قضية المرتد سلمان رشدى

٤/٣/١٩٨٩ م

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

كان فى خاطرى أن أحدثكم اليوم عن أحد موضوعين ، الموضوع الأول : موضوع المسجد الأقصى ، بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج ، بمناسبة هذه الذكرى كان يهمنى أن أتحدث عن المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله ، وعن أرض النبوات التى بارك الله فيها للعالمين ، وعن أطفال الحجارة ، وعن الانتفاضة الإسلامية ، وعن الحركة الإسلامية التى أزعج انتصارها فى الأرض المحتلة (شامير) [١] وأتباعه.

كنت أريد أن أتحدث عن قضية العرب والمسلمين الأولى بهذه المناسبة ، مناسبة الإسراء والمعراج .

كان هذا موضوعًا ، وكان هناك موضوع آخر : هو موضوع النصر ، أعظم نصر حققه المسلمون فى هذا العصر ، وهو انتصار الإخوة المجاهدين الأفغان على أعتى قوة ملحدة فى الأرض ، قوة الإلحاد الأولى فى العالم بل فى التاريخ كله ، واضطرار هذه القوة إلى أن تسحب جيوشها وجنودها ، وتولى الأدبار عن أرض الجهاد ، وينسحب آخر جندى من جنود الروس من أرض الأفغان الصامدة ، المجاهدة ، كنت أريد أن أتحدث عن هذا أيضًا فى هذه المناسبة .

ولكن أعداء الإسلام لا يريدون لنا أن نفرح بشىء ، لم نتذوق حلاوة النصر منذ زمن بعيد ، فنحن نعيش فى زمن المآسى والنكسات ، فإذا حدث لنا فرح حولوه إلى أحزان ، وإذا احتفلنا بعرس أطلقوا فيه رصاصة أردت قتيلاً ، فتحول عرسنا إلى

---

(١) رئيس وزراء إسرائيل السابق .

OBEIKAN.COM

مأتم ، لهذا شغلونا هذه الأيام بقضية فرضت نفسها على الساحة ، كان لا بد من أن أحدثكم عنها هذا اليوم .

تلك قضية المرتد المتزندق المدعو : (سلمان رشدى) ، الذى نشأ فى أرض إسلامية ، ومن أسرة مسلمة ، ثم ذهب إلى الغرب ، ليصنع هناك ، وليستدير إلى أمته فيطعنها فى صدرها ، وليتوجه بسهامه المسمومة ، إلى قدس الأقداس ، إلى أطهر خلق الله ، إلى محمد ﷺ ، وإلى بيته الطاهر ، فيتهم رسول الله ﷺ ويتهم نساءه ، ويكيل الشتائم المقذعة ، بأقذر الألفاظ ، وأقبح العبارات ، فى قصة سماها (الآيات الشيطانية) ، ذلكم هو المسمى (سلمان رشدى) ، إنسان هندى الأصل، يدل عليه اسمه ، اسم مسلم ، ليس فيه من السلامة ولا من الرشد شىء .

كنا فى الأسبوع الماضى فى مجمع الفقه الإسلامى ، فشغلنا يومين كاملين بقضيتين: قضية جاءت من بريطانيا ، وهى قضية (سلمان رشدى) ، وقضية جاءت من أمريكا وهى قضية آخر يدعى (رشاد خليفة) ، وكلاهما للأسف فى اسمه (الرشد) أو (الرشاد) ، وليس لأحدهما من الرشد ولا من الرشاد شىء ، واحد طبخ فى المطبخ البريطانى ، والآخر طبخ فى المطبخ الأمريكى .

(رشاد خليفة) هذا كذب بالصلاة ، وأنكر السنة إنكارًا مطلقًا ، وادعى أن فى القرآن آيات ليست من القرآن ، ثم ختم هذا كله بادعاء أنه رسول الله ، وجاءت رسائله يبعث بها هنا وهناك : أن رشاد خليفة رسول الله [1] .

شغلنا يومين بهذين الأمرين ، بدل أن نشغل بقضايا المسلمين ، وما تحتاج إليه من فقه وفتوى ، هكذا أراد أعداء الإسلام .

كان أحد عتاة المبشرين [2] فى أوائل هذا القرن يقول : لن ننجح فى تبشيرنا

---

(١) ونحمد الله أن باطله لم يمكث فى الأرض طويلاً ، إذ أهلكه الله بعد مدة وجيزة ، وخرست دعوته فى مهدها .

(٢) هو القسيس (زويمر) رئيس إرسالية التبشير فى البحرين ، ذكر ذلك فى كتابه (العالم الإسلامى اليوم) الذى نشره بمؤازرة زملاء له ، جمعوا فيه تقارير وملاحظات كتبها المبشرون عن حال المسلمين القاطنين فى مناطقهم التبشيرية ، وفى مقدمة الكتاب يقول (زويمر) « تبشير =

وتنصيرنا ، إلا إذا جندنا من أبناء المسلمين أنفسهم من يقوم بمهمتنا ، إن الشجرة لا يقطعها إلا أحد أبنائها .

وهكذا استطاعوا أن يجندوا بعض هؤلاء الناس ، الذين لا دين لهم ، ولا عقل لهم ، ولا ضمير لهم ، باعوا دينهم ، وباعوا أمتهم ، وباعوا تراثهم ، وباعوا كل شيء ، من أجل مال ... من أجل شهوة ... من أجل شهرة ... من أجل أن يتبعوا أهواء الشياطين ، الذين يوحون إليهم بتلك الوساوس والهواجس .

سلمان رشدى ألف قصة ، هذه القصة تقوم على أن هناك فى (مكة) ، ويسمى مكة (مدينة الجاهلية) ، أما (المدينة المنورة) فأبقى على اسمها القديم : (يثرب)، وأن فى (مدينة الجاهلية) بيتًا للدعارة والبغاء ، وأن هذا البيت يضم اثنتى عشرة امرأة ، سمى هؤلاء النساء الداعرات بأسماء أمهات المؤمنين ، زوجات رسول الله ﷺ ، وسماهن : بغايا الأستار ، كأنه يشير إلى أستار الكعبة ، أو بغايا الحجاب ، وكيف يكون الحجاب سببًا للبغاء ، أو قرينًا له ؟!

هكذا تهجم هذا الرجل ، وخلط الخيال بالتاريخ ، والتاريخ بالواقع ، وخلط الأمور بعضها ببعض ، بحيث تخرج منه بأن هذا شيء لا يمكن أن يطاق ، ولا أن يقبل بحال من الأحوال .

هذا الرجل أساء إلى أمة الإسلام ، أساء إلى رسول الله ﷺ ، أساء إلى أمهات المؤمنين ، أطهر خلق الله ، اللاتى خاطبهن الله فى القرآن بقوله : ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ، إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ، وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١) .

= المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها » نقلاً عن كتاب : (الغارة على العالم الإسلامى) تأليف ا . ل . شاتليه ، تلخيص وترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى ، ص ٥٠ .

(١) الأحزاب : ٣٢ ، ٣٣ .

أول من خوطب بهذا نساء النبى ﷺ ، فالله يريد أن يذهب عنهن الرجس ، وأن يطهرهن تطهيرًا .

وحين افترى مفتر كذاب على إحداهن : عائشة بنت أبى بكر ، الصديقة بنت الصديق ، فى حديث الإفك المعروف ، نزلت آيات السماء ، نزلت عشرات الآيات فى سورة (النور) تبرىء هذه الطاهرة المطهرة المبرأة رضى الله عنها ، وتلعن أولئك الذين أشاعوا هذا الإفك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

أزواج رسول الله ﷺ ، وأمهات المؤمنين ، يوصفن عند هذا الفاجر الفاسق العربيد بأنهن مومسات ، هكذا صنع .

ولهذا غضب المسلمون فى بريطانيا ، الذين قرأوا هذا الكتاب أو هذه الرواية الشيطانية باللغة الإنكليزية ، احتجوا فى أول الأمر ، وطالبوا أن يصادر هذا الكتاب ويمنع نشره ، حتى لا يسىء إلى الإسلام ، ولا يجرح مشاعر المسلمين ، ولكن صيحاتهم ذهبت سدى ، ولم تؤت أكلها ، ثم ساروا فى مظاهرات وجاءوا فيها بنسخة من الكتاب ، وأحرقوها فى بعض الميادين ، حتى يسمع لهم السامعون ، وتعرف قضيتهم الجهات المختصة ، ولكن أحدًا لم يبال بهم ، بزعم أن هناك حرية . . . حرية الرأى وحرية الفكر ، ولكن أى رأى وأى فكر فى هذا الكلام الساقط البذىء ؟!

ليس هناك علم ولا رأى ولا فكر ، يمكن أن نقارع فيه الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، والرأى بالرأى ، من شتمك ، كيف تقول : إن الشتيمة هذه رأى ، وأن صاحب هذا اللسان القذر ، حر فى أن يقول ما شاء ؟!

لو أن إنسانًا يبحث ، وانتهى إلى رأى ، يمكن أن نقول : إن هذا رأى ، يرد عليه برأى مثله ، ولكن إذا جاء إنسان وقال لك : أنت ابن كذا ، وكذا ، شتم أباك أو سب أمك ، ماذا تقول فى هذا ؟ أهذا رأى يحترم ، ويدافع عنه ؟!

---

(١) النور : ٢٣ ، ٢٤ .

OBEIKAN.COM

لو أن إنسانًا - أى إنسان - اعتدى على أبيه أو أمه بكلمة بذيئة ، فلا يسعه إلا أن يغضب، ولا يسعه إلا أن يثور ، فكيف إذا سب أشرف الخلق وسيد الوجود : محمد ﷺ ؟ كيف إذا سبت نساؤه أمهات المؤمنين ؟

من سب أباك أو أمك لا تصبر عليه ، فكيف من سب نبيك ورسولك وهاديك إلى الله ؟ وكيف من سب أمهات المؤمنين جميعًا ؟ والله تعالى يقول : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ . . . ﴾ (١) ، كيف يقال إن هذا رأى ؟! كيف يقال إن هذا فكر ، وإن هذا من حرية الفكر ؟!

إن رئيسة وزراء بريطانيا صادرت كتابًا ، كان فيه بعض الفضائح السياسية ، المعروف باسم : (صائد الجواسيس) ، من أجل المصلحة ، فلماذا لا يصادر كتاب من أجل مصلحة المسلمين ؟ أم أن المسلمين فى العالم لا قيمة لهم ؟ ألف مليون مسلم تتحدى مشاعرهم فى العالم كله ، ولا يقام لهم وزن .

من أجل ذلك ثارت الثوائر ، وقامت المظاهرات فى بلاد العالم الإسلامى ، وخصوصًا الذين يقرأون الإنكليزية .

ثارت المظاهرات فى بريطانيا ، وفى الهند ، وفى باكستان ، وفى غيرها من البلاد، وقتل من قتل ، وأطلق الرصاص على بعض الناس فقتلوا ، إنما ثاروا لكرامتهم ، لكرامة دينهم ، لكرامة نبيهم ، لكرامة أمهات المؤمنين ، حفاظًا على المقدسات .

إن هذا الرجل اتهم أبا الأنبياء جميعًا . . . الخليل إبراهيم ، اتهمه بأنه وغد ، وابن زانية ، هكذا لم يدع شيئًا إلا وجرحه ، أثخنه بالجراح ، فمن حق الناس أن يثوروا .

لئن كنت محتاجًا إلى الحلـــــم إننى ... إلى الجهل فى بعض الأحايين أحـــوج
ولى فرس للحلم بالحلـم ملجـــــم ... ولى فرس للجهل بالجهل مســـــــرج
فمن رام تقويمى فـــــإنى مقـــــوم ... ومن رام تعويجى فإنى معـــــــوج
وما كنت أرضى الجهل خدنًا وصاحبًا ... ولكننى أرضى بـــه حين أحـــــــرج

(١) الأحزاب : ٦ .

OBEIKAN.COM

لقد استغضب المسلمون ، وكان من حقهم ، بل من واجبهم ، أن يغضبوا ، ومن استغضب فلم يغضب فهو حمار ، كما أن من استرضى فلم يرض فهو جبار .

استغضب المسلمون ، حينما مست عقائدهم فى شخص رسولهم محمد ﷺ ، ونسائه أمهات المؤمنين ، وعدد من الصحابة ، وبعض الأنبياء العظام .

أشياء كثيرة تحدث عنها هذا الإنسان ، كان من حق المسلمين أن يثوروا ، وأن يغضبوا ، ما دامت السلطات المختصة فى تلك البلاد لم تأبه للأمر ، ولم تشغل نفسها به .

هناك من قال : إننا يجب أن نستتيب هذا الإنسان ، وصدرت بعض الفتاوى فى ذلك ، وأصدر هذا الشخص اعتذارًا ، هذا الاعتذار ليس فيه أى نوع من التوبة ، ولا أى نوع من التكذيب لنفسه ، ولا أى نوع من التراجع عما قال ، كل ما قاله : إنه يأسف أنه آلم المسلمين وأزعجهم ، أما كلامه نفسه فلم يتراجع عنه ، ولم يقل إنه أخطأ ، ولم يكذب نفسه فى شىء ، ولذلك رفض اعتذاره .

على أن جمهور المسلمين يرون أن من شتم رسول الله ﷺ ، لا تقبل له توبة ، وليس له إلا السيف ، حتى لا يجرؤ الناس على هذا الحمى المحرم .

هذا ما قرره العلماء من قديم ، وألف فيه شيخ الإسلام ابن تيمية ، كتابه الشهير : (الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ) ، وقال : إن من شتم رسول الله ﷺ من مسلم أو ذمى ، حتى الذمى - الذمى غير المسلم الذى يعيش بين ظهرانى المسلمين ، وفى ضمانهم وذمتهم ، وله مالهم وعليه ما عليهم ، فى حدود أصول الإسلام وقواعده - هذا إذا شتم رسول الله ﷺ ، فقد نقض عهد الذمة وحل دمه .

أراد المسلمون ألا يفتحوا باب فتنة فيجرؤ الناس على رسول الله ﷺ . من حقهم أن يردوا على الإسلام ، وعلى عقائد الإسلام ، ويقولوا : إن عقائدنا أفضل من عقائدكم ، هذا الرأى يسمح به ونرد عليه ، أما الشتم ، أما الإهانة ، أما التجريح ، أما السب واللعن ، فهذا شىء آخر لا يقبل من مسلم ولا من غير مسلم .

لقد أهان هذا الإنسان الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولكن العجب العجاب : أن نجد هذا الغرب يقف عن بكرة أبيه ، ضد المشاعر الإسلامية .

OBEIKAN.COM

وحينما احتجت (إيران) على هذا الأمر ، سحبوا سفراءهم من هناك ، واجتمع المجلس الأوروبى ، ويكاد يجتمع مجلس الأمن ، أو الأمم المتحدة ، من أجل هذا الأمر !

أليس من حق المسلمين أن يغضبوا لدينهم ، ولنبيهم ، ولمقدساتهم ، ولأنبياء الله جميعًا ؟

إن المسلمين فى بعض البلاد الأوروبية سيروا مظاهرات من أجل (فيلم) تناول المسيح عليه السلام بسوء وهؤلاء الناس للأسف أصدروا من الأفلام ما يجرح المسيح عليه السلام ، ويتهمه بالشذوذ الجنسى ، ويصوره فى أقبح صورة ، ومن الأفلام ما صور (مريم) العذراء عليها السلام أسوأ تصوير .

قام المسلمون وتظاهروا ضد ذلك ، حتى أن (أسقف) بعض البلاد شكر المسلمين على هذا الأمر وقال : ما كنت أظن أن تغضبوا لمريم مثل غضبتنا وأكثر ، قالوا له : إن مريم عندنا صديقة : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) . ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾(٢) .

قالوا له : إن فى القرآن سورة اسمها : سورة (مريم) ، نزلت من أجل هذه الصديقة . . . العظيمة . . . المطهرة . . . البتول . . . المبرأة .

المسلمون يغضبون إذا نال نائل من أى نبى من الأنبياء ، أو أى رسول من الرسل، فنحن لا يصح لنا دين ، ولا يكمل لنا إيمان ، إلا إذا آمنا بكل كتاب أنزل ، وبكل نبى أرسل ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، كُلٌ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ . . . ﴾ (٣) .

هذا هو إيماننا نحن المسلمين ، فلماذا نكافأ على هذا بأن يشتم نبينا ، ويشتم ديننا، وتسب أمهات المؤمنين ؟

---

(١) آل عمران : ٤٢ . (٢) التحريم : ١٢ . (٣) البقرة : ٢٨٥ .

OBEIKAN.COM

أيسعنا أن نسكت على هذا الضيم ؟ أن نغض العيون على القذا ؟ أن نسحب الذيول على الأذى ؟ لا والله ، ما كان لنا أن نفعل ذلك .

كنا نود لو أن هذا الكتاب مات فى مهده ولم يذكر ، ولكن للأسف قالوا : إنهم هناك يكافئون هذا الكاتب ، ويعطونه الجوائز على مثل هذه الأشياء [1] ، فثار المسلمون الذين يعرفون هذا الأمر عليه ، أما وقد سار الأمر وعرف وانتشر ، فلا بد لنا من وقفة .

نعجب من تلك الحرب الصليبية التى ما زالت قائمة حتى اليوم ، تظهر ما بين الحين والحين ، حينما دخل (اللنبى) القائد البريطانى ، القدس الشريف سنة ١٩١٧م ، قال كلمته الشهيرة : اليوم انتهت الحروب الصليبية ، أى بدخول بيت المقدس ، الذى فشل فيه الصليبيون قديمًا .

ولكن الحروب الصليبية لم تنته ، ما انتهت الحروب الصليبية ، الحرب مستمرة ، ولكنها بأدوات غير الأدوات ، وبأساليب غير الأساليب ، وفى ساحات شتى ، ومجالات كثيرة ، الحرب الصليبية ما زالت قائمة ضدنا نحن المسلمين .

نحن نحاول أن نسالم ، أن نرفع شعار السلام ، أن نمد أيدينا ، ولكن القوم لا يقابلوننا بمثل ما نقابلهم به ، لا يردون التحية بمثلها ، فضلاً أن يردوها بأحسن منها ، وهكذا يساء إلينا يومًا بعد يوم .

وأعجب من هذا أن نجد فى بلد المسلمين أنفسهم ، ومن أقلام عربية مسلمة ، تدعى أنها نصيرة الحرية ، تدافع عن هذا المرتد الملحد المتزندق ، وتدافع عنه باسم حرية الرأى وباسم حرية الفكر ! أى رأى ، وأى فكر يا قوم ؟! أى رأى وأى فكر فى السباب والقذارة والإقذاع ؟! ليس هناك رأى يمكن أن يناقش ، أو يرد عليه .

إن هذه القضية كان من حسناتها : أن نبهت العالم الإسلامى ، ورب ضارة نافعة ، نبهته إلى ما يحاك له فى الخفاء ، وما يبيت له بليل ، وما يدبر له من وراء ستار ، لكى يظل دائمًا فى بلبلة وحيرة .

---

(١) والتى كان آخرها جائزة الأدب الأوروبى ، التى منحتها حكومة النمسا لهذا الكاتب المارق - أى بعد مرور خمس سنوات على إصدار رواياته الشيطانية - ضاربة عرض الحائط بمشاعر أكثر من مليار مسلم ، ومتجاوزة نصوص الدستور النمساوى نفسه ، والذى يجرم صراحة كل من يتطاول على المعتقدات الدينية المعترف بها رسميًا هناك ومن بينها الإسلام (نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتية فى عددها ١٠٩٦ الصادر فى ٨ ذى القعدة ١٤١٤ هـ) .

OBEIKAN.COM

علمتنا هذه القضية أن من أبناء المسلمين ، من يستخدم ضد المسلمين أنفسهم ، ومن حسنات هذه القضية أن وقف العالم الإسلامى جميعه ضد هذا الأمر ، وإن كان السياسيون للأسف ، لم يعيروا هذا الأمر التفاتًا بما يستحق ، وما ينبغى له .

كان لا بد من أن تسمع أصوات تستنكر هذا الأمر ، وتعلّم هؤلاء القوم أن المسألة لا ينبغى أن تمر بسهولة ، وأن العالم الإسلامى لا يقبل أن يهان فى شخص إهانة رسول الله ﷺ ، وبيته الشريف الطاهر .

يا أيها الإخوة : إن الإسلام والحمد لله ، لا يمكن أن يتزعزع بهذه الأشياء ، الإسلام طود شامخ ، وجبل راسخ ، بل هو أرسى من الجبال ، لا تزعزعه هذه الرياح مهما عصفت .

الإسلام أرسخ قدمًا ، وأثبت جذورًا ، وأعمق أصولاً ، من أن تؤثر فيه هذه الأباطيل ، إن هذا الإسلام يمتد هنا وهناك ، ويكسب كل يوم أرضًا ، ويدخل فيه الكثيرون ، ونحن موقنون أن الغد لهذا الدين ، وأن المستقبل للإسلام ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

نحن ننتظر يومًا يظهر فيه الإسلام على الأديان كلها ، ويعم الأرض نوره ، وقد سئل رسول الله ﷺ : أى المدينتين تفتح أولاً يا رسول الله رومية أم قسطنطينية ؟ كأن الصحابة عندهم علم سابق أن المدينتين كلتيهما مفتوحتان بالإسلام ، رومية عاصمة إيطاليا ، التى يعبر عنها الآن بـ (روما) ، والقسطنطينية التى يعبر عنها الآن باسم : (استانبول) التى كانت عاصمة الخلافة العثمانية ، عدة قرون - فقال رسول الله ﷺ : « مدينة هرقل تفتح أولاً » (٢) .

---

(١) التوبة : ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) روى الإمام أحمد فى مسند عبد الله بن عمرو عن أبى قبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسئل : أىّ المدينتين تفتح أولاً : القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال : فأخرج منه كتابًا ، قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول =

مدينة هرقل هى القسطنطينية ، وقد فتحت[1] .

فتحها ذلك الشاب التركى العثمانى ، ابن الثالثة والعشرين : (محمد بن مراد) الذى لقب فى التاريخ باسم : (محمد الفاتح) ، الذى قرأ فى الحديث : «لتفتحن القسطنطينية ، ولنعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش ذلك الجيش » [2] ، فتاقت نفسه، وطمحت إلى أن يكون هو هذا الأمير ، وأن يكون جيشه هو هذا الجيش .

تعلقت بذلك نفسه ، وهو فى ريعان شبابه ، فما زال يعد لذلك ويخطط ، حتى أذن الله أن يكون له هذا الشرف ، الذى سعى إليه الصحابة ولم يدركوه ، وادخره القدر لهذا الفتى المسلم الطموح ، ابن الثالثة والعشرين .

فتحت (القسطنطينية) ، وبقى أن تفتح (رومية) إن شاء الله ، معنى هذا : أنه لا بد من أن يدخل الإسلام إلى أوروبا من جديد ، وقد طرد منها مرتين : طرد منها بعد الأندلس ، بعد أن بقى فيها ثمانية قرون ، وأقام تلك الحضارة العظيمة ، طرد منها طردًا سجله التاريخ : القتل والتعذيب ، والإجبار على التنصير ، ومحى الإسلام من تلك الديار [3] .

= الله ﷺ نكتب ، إذ سئل رسول الله : أى المدينتين تفتح أولاً : قسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : « مدينة هرقل تفتح أولاً » يعنى قسطنطينية ، الحديث (٦٦٤٥) ، وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٦ : ٢١٩) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبى قبيل وهو ثقة ، ورواه الحاكم (٤/ ٤٢٢) وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى .

(١) كان ذلك يوم ٢٩ (آيار) (مايو) من عام ١٤٥٣ م ، بعد معارك دامت واحدًا وخمسين يومًا .

(٢) رواه أحمد فى مسنده (٤/ ٣٣٥) ، والحاكم فى مستدركه عن بشر الغنوى ، وصححه ووافقه الذهبى (٤/ ٤٢٢) ورمز له السيوطى بالصحة فى الجامع الصغير (٢/ ١٢٣) .

(٣) من أراد أن يتأمل تلك الحقبة السوداء ، وما جرى فيها للمسلمين من مآس يندى لها الجبين ، ويتقطع لها نياط الفؤاد ، فليرجع إلى كتاب : (محاكم التفتيش الغاشمة وأساليبها) للدكتور عبد الرحمن على الحجى ، أو (المسلمون المنصرون) للدكتور عبد الله محمد جمال الدين، أو(تاريخ مسلمى الأندلس) تأليف الأسبانى : أنطونيو دومينقير هورتز ، والفرنسى : برنارد بنشنت .

OBEIKAN.COM

وطرد مرة أخرى بعد أن كاد العثمانيون يدخلون (فيينا) [1] ، وطرقوا أبوابها عدة مرات ، ثم عادوا إلى آسيا ، وإلى ذلك الشريط الصغير من أوروبا ، واقتسمت تركة (الرجل المريض) كما يسميه المؤرخون فى ذلك الوقت .

لا بد من عودة للإسلام إلى أوروبا إن شاء الله ، لا بد من أن ينتصر الإسلام ، إذا قمنا له بحقه ، إذا كنا نحن صورة طيبة للإسلام ، واستطعنا أن نقدمه لغيرنا ، حتى يرى فى الإسلام ، ما يهديه من ضلال ، وما يؤمنه من خوف ، وما يسعده من شقاء .

إننا أصحاب الدين الأقوى ، إننا أصحاب الرسالة العظمى ، التى فيها نجاة الإنسانية من كل شر ، ومن كل خطر ، إنها رسالة محمد ﷺ ، أما هذه الأكاذيب، وهذه الأباطيل ، وهذه الزوابع التى تثار ما بين الحين والحين ، فلن تزيد الإسلام إلا قوة ، ولن تزيد العاملين للإسلام إلا ثباتًا عليه ، وإصرارًا على الدعوة إليه ، وإنا إن شاء الله لمنتصرون ، ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا ، وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [2] .

نسأل الله أن ينجز لنا وعده ، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدًا ، وأن ينصر الإسلام ويعز المسلمين ، اللهم آمين .

أقول قولى هذا واستغفر الله تعالى لى ولكم ، فاستغفروه من كل ذنب ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

ظهرت ظاهرة ما كان يعرفها المجتمع الإسلامى ، تحدثنا عنها خطبة كاملة فى العام

---

(١) عاصمة (النمسا) حاليًا .

(٢) النور : ٥٥ .

OBEIKAN.COM

الماضى ، هذه الظاهرة هى : تفكك الأسرة المسلمة ، تخلى الإنسان عن أبويه فى حالة الشيخوخة ، والله تعالى وصى على الأبوين فى كل الأحوال ، ولكنه وصى عليهما فى حالة الشيخوخة خاصة : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُواْ إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَو كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (١) .

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ﴾ : أصبحا أمانة عندك ، أصبحا فى حضانتك كما كنت من قبل فى حضانتهما ؟ ألا ترد الجميل ؟ ألا تعرف المعروف ؟ ألا تجازى الإحسان بالإحسان ؟ وكيف تجازى الإحسان بالإحسان ؟ وهل تستطيع .

إن الرجل الذى جاء إلى عمر وقال : يا أمير المؤمنين : لقد بلغ من مرض أمى وعجزها ، أننى أصنع لها ما كانت تصنع لى فى صغرى ، وفى طفولتى ، أنا الذى أطعمها ، وأنا الذى أسقيها ، ولا تقضى حاجتها إلا وظهرى لها مطية - أى إذا أرادت أن تقضى حاجتها البشرية من البول والغائط ، يحملها ويذهب بها حتى تقضى حاجتها - أأوفيتها حقها ؟ فقال عمر : لا ، إنها كانت تفعل ذلك لك ، وتتمنى لك عمرًا طويلاً ، أما أنت فتفعل لها ذلك ، وتنتظر موتها غدًا أو بعد غد !

روى البزار : أن رجلاً كان يطوف بالكعبة وهو يحمل أمه على كتفه ، فرآه النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : أأوفيت لها حقها ؟ فقال ﷺ : « لا ، ولا بزفرة واحدة» (٢) زفرة من زفرات الطلق وألم الوضع .

فما هذه الظاهرة : أن يذهب الناس بآبائهم وأمهاتهم إلى مستشفى العجزة ، ويلقون بهم هناك ، كأنما وضعوا فى سلة المهملات ، لا يسأل عنهم أحد ، ولا يزورهم أحد .

أين عاطفة البنوة ؟ أين روح الدين . . . روح البر والوفاء ؟ أين قوله تعالى :

---

(١) الإسراء : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) ذكره الحافظ بن كثير فى تفسير سورة الإسراء (٣/ ٣٥) ط . الحلبى من رواية الحافظ البزار فى مسنده عن بريدة ، وفى سنده الحسن بن أبى جعفر ضعيف ، وأورده الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٣٧) .

OBEIKAN.COM

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ؟ أين : ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ ؟ أين البرَ الذى جعله الإسلام مَن أصولَ الفضائل وجعله فى المرتبة بعد توحيد الله تبارك وتعالى ؟

كنا نسمع عن مثل ذلك فى أوروبا وأمريكا ، ونقول هذا مجتمع مادى ، أنانى ، لا يعرف المشاعر ، ولا يعرف العواطف ، ولا يعرف الفضائل ، فهل انتقلت إلينا العدوى ؟ هل انتقلت سموم المجتمع المادى إلى مجتمعنا ، حتى يلقى الآباء والأمهات فى دور العجزة ، ثم يتركون ولا يسأل عنهم أحد ؟ .

لا يا أيها الإخوة المسلمون ، لا ينبغى أن نتخلى عن مكارمنا وفضائلنا ، فيتخلى الله عنا ، وبر الوالدين سلف ، اعمل ما شئت كما تدين تدان أنت اليوم شاب وغدًا شيخ ، ما صنعته بآبائك ، سيصنعه بك أبناؤك ، فاعمل لغدك ، واعمل قبل كل شىء لإرضاء الله تبارك وتعالى ، وأوف الحق الذى عليك ، يوف أبناؤك بالحق الذى لك .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهيىء لنا من أمرنا رشدًا ، وأن يجعلنا من عباده الأبرار الأوفياء ، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ، اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا ،واجعل غدنا خيرًا من يومنا ، واهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، اللهم أعز الإسلام وأيد المسلمين ، اللهم انصر إخواننا فى فلسطين ، وانصر إخواننا فى أفغانستان ، واجمع على الحق كلمتهم ، ووحد صفوفهم ، وقرب النصر العزيز منهم ، اللهم أرنا يومًا قريبًا ينتصر فيه الإسلام ، وتعلو فيه راية القرآن ، اللهم اهدنا صراطًا مستقيمًا ، وافتح لنا فتحًا مبينًا ، وانصرنا نصرًا عزيزًا ، وأنزل فى قلوبنا سكينتك ، وانشر علينا فضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

عباد الله يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

﴿ . . . وأَقِمِ الصَّلاةَ ، إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ والْمُنكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

---

(١) الأحزاب : ٥٦ .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .